

جمعية الثقافة من أجل التنمية

بالاشتراك مع



جامعة سوهاج

صورة المستقبل

في

السنة النبوية

أحمد محمد سليمان

صورة المستقبل في السنة النبوية

أحمد محمد سليمان – طنطا

تمهيد :

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، الحمد لله منزل الحديد باعث الخلق من جديد نحمدك ربنا حمدًا كثيرًا طيبًا مباركا فيه غير مستكثري الحمد ولا كافين ، ونصلي ونسلم ونبارك على سيدنا محمد أفضل الخلق النبي الأمي ، الناطق بالحق مخلص العبيد من الرق وبعد :

تخليص الحاضر عن المستقبل يكون بدخول السين أو سوف على الفعل ومثال ذلك قوله تعالى : " غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾" فدخلت السين على " يغلبون " لتدل على أن ذلك ليس في الحاضر بل في المستقبل .

والمستقبل هو القادم من الأمور والمقادير ، والمستقبل لا يعلمه إلا الله جل وعلا لكن على الإنسان أن يعمل ويجتهد ويترك الأمر كله لله ، والمستقبل الذي نستطيع أن نقول إنه واقع لا محالة ودون شك ، تلك الأمور التي وردت في الكتاب – القرآن الكريم – وأخبرنا الله بوقوعها فهذا الكتاب قد أُحكمت آياته وفصلت للعالمين ، وقال تعالى عن قرآنه : " وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ ... " ، ولتأكدنا من أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق عن الهوى وأن كل ما يحدثنا به وحي من الله لذا فأقواله – صلى الله عليه وسلم – أيضًا واقعة لا محالة ولا شك في ذلك ، وبالطبع أقصد هنا أقوال النبي الصحيحة والثابتة عنه ، وباتباع كلام الله وسنة نبيه تضمن مستقبلك مع خالقك ومولاك ، ومن ضمن مستقبله مع الله ضمن مستقبله مع خلق الله ، فمن أحبه الله أحبه الناس ، لذا فعلينا أن نحسن علاقاتنا مع الله أولا حتى يكون مستقبلنا كما نريد ونحب .

فالمستقبل الحق هو ما ورد في الكتاب أو السنة ، أما ما يحدث اليوم من دجل الدجالين وشعوذة المشعوذين وادعائهم معرفة الغيب ومعرفة القادم من أمور الإنسان فهذا

ضلال وكذب ، فالغيب لا يعلمه إلا الله وحده ، حتى معرفة سيدنا يوسف بالطعام الذي يأتيه هو ومن كانا معه في السجن لم يتأتى له إلا من الله ، وكذا ما حدث مع سيدنا عيسى عليه السلام – ومعرفته لما يأكل قومه وما يدخرونه في بيوتهم ، وما حدث مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - من معجزات ، كل ذلك بأمر من الله ، وكذا ما نراه الآن على صفحات الجرائد من أبراج كل هذا ضرب من ضروب الدجل الخفي ، ونعوذ بالله أن نشرك به ، لذا أرجو ألا يقع أي منا في مغبة هذا الشرك ، والسير وراء الدجل والشعوذة ، سواء الدجل الصريح أو الخفي المتمثل في مسألة الأبراج والكواكب تلك .

ألا تعلم أن الابتلاء الذي يتعرض له المؤمن ما هو إلا لضمان المستقبل مع الله وكمال الحذر، يقول ابن تيمية – رحمه الله - : " والله . تعالى . يبتلي عبده المؤمن بما يتوب منه ليحصل له بذلك من تكميل العبودية والتضرع ، والخشوع لله والإنابة إليه ، وكمال الحذر في المستقبل والاجتهاد في العبادة ما لم يحصل بدون التوبة كمن ذاق الجوع والعطش والمرض والفقر والخوف ، ثم ذاق الشّبَع والرِّي والعافية والغني والأمن، فإنه يحصل له من المحبة لذلك وحلاوته ولذته، والرغبة فيه وشكر نعمة الله عليه، والحذر أن يقع فيما حصل أولا ما لم يحصل بدون ذلك " (١) .

وقد استعاذ – صلى الله عليه وسلم – من الهم والحزن ، يعني أنه قد استعاذ من الأمور الحزينة التي حدثت له في الماضي ، فإنك إذا أصابك مكروه في الماضي وتذكرته أصابك الحزن ، أما إن تخيلت مستقبلك وتوهمت أن ثم مكروه سيحدث لك فلن يصيبك الحزن بل سيصيبك الهم ، فالهم هو توقع البلاء في المستقبل ، إذن فالنبي يعلم أن كل إنسان يهمه المستقبل ويهمه أن يكون القادم كله سعيدًا يوافق هواه ، لذا فإنه أمرنا أن نستعيذ من الهم وهو سيء المستقبل .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٤ / ٣٨٨ ،تحقيق وتعليق دكتور عبد الرحمن عميرة– دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت

وفي سنن ابن ماجه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد تعوذ من شر ما يجد وما يحاذر(١) ، فما سيجده الإنسان وما يحاذره يعني المستقبل .

ومما يدل على أن النبي قد اهتم بمستقبل أمته ما ثبت عن حذيفة ابن اليمان حيث قال : " قام فينا رسول الله – صلى الله عليه و سلم – مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه "(٢) .

التبشير بالمستقبل في القرآن الكريم :

ومن أوضح ما ورد في التبشير بالمستقبل ما قاله تعالى في سورة الروم ، حيث قال :

" الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ " الروم: ١ – ٦

وأخرج الترمذي في سننه عن نيار بن مكرم الأسلمي ، قال : لما نزلت:

" الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ... "

فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم ، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب ، وفي ذلك قول الله تعالى " **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ {٤} بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** " ، فكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم

(١) سنن ابن ماجه : ٢ / ١١٦٣ ، حديث رقم : ٣٥٢٢ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : دار الفكر بيروت ، وهذا الحديث صححه العلامة الألباني – رحمه الله - .

(٢) متفق عليه ، وانظر مشكاة المصابيح للتبريزي ، تحقيق: الألباني : ٣ / ١٦٧ ، ط : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، في ثلاثة أجزاء .

وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث ، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يصيح في نواحي مكة " ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ ... "قال ناس من قريش لأبي بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارسا في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك ؟ ، قال : بلى ، وذلك قبل تحريم الرهان ، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان ، وقالوا لأبي بكر كم تجعل ؟ البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه ، قال : فسموا بينهم ست سنين ، قال : فمضت الست سنين قبل أن يظهروا ، فأخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس ، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين لأن الله تعالى قال في بضع سنين قال وأسلم عند ذلك ناس كثير " .

قال الترمذي : " هذا حديث صحيح حسن غريب من حديث نيار بن مكرم لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد "[(١)] .

وقد ترك الله تعالى عدد السنين مبهما دون تحديد فالمعروف أن البضع من ثلاثة لتسعة وذلك لحكمة عظيمة ، فكما ورد في حديث نيار وغيره أن كثيرًا من المشركين أسلموا بعد أن غلبت الروم الفرس ، كما أن الله تعالى أراد ألا يحدد عدد السنين حتى يشوق المسلمين ويجعلهم دائمًا في اشتياق لوعد الله لهم ، وفي ذلك يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير : " وحكمة إبهام عدد السنين أنه مقتضى حال كلام العظيم الحكيم أن يقتصر على المقصود إجمالاً وأن لا يتنازل إلى التفصيل لأن ذلك التفصيل يتنزل منزلة الحشو عند أهل العقول الراجحة وليكون للمسلمين رجاء في مدة أقرب مما ظهر ففي ذلك تفريج عليهم " .

---

(١) " سنن الترمذي " : ٥ / ٣٤٤ ، حديث رقم : ٣١٩٤ ، ط : دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، في خمسة أجزاء .

النبي يحثنا على حسن اختيار أسماء الأبناء :

الناظر في واقع الحديث النبوي بعين فاحصة يرى أنها تعالج الواقع الذي نعيش فيه وتبني المستقبل بإذن الله بالطبع ، فقد تنبأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ببعض الأشياء التي للمسلمين على مر العصور ، كما أمرنا بأشياء علينا اتباعها حتى لا يسوء مستقبلنا أو مستقبل أولادنا ، فقد أمرنا – صلى الله عليه وسلم – بضرورة اختيار أفضل الأسماء لأولادنا ، وذلك حتى لا تكون تلك الأسماء وبالًا عليهم في الكبر ، يقول العلامة ابن عثيمين – رحمه الله – في شرح حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والذي رواه عنه أنس – رضي الله عنه – ، فعن أنس قال :

" كان ابن لأبي طلحة - رضي الله عنه - يشتكي ، فخرج أبو طلحة ، فَقُبِضَ الصبي فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم - وهي أم الصبي - : هو أسكن ما كان ، فقربت إليه العشاء فتعشى ، ثم أصاب منها ، فلما فرغ قالت : واروا الصبي ، فلما أصبح أبو طلحة أتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبره ، فقال " أعرستم الليلة ؟) " قال : نعم ، قال : (اللهم بارك لهما) ؛ فولدت غلاما ، فقال لي أبو طلحة : احمله حتى تأتي به النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وبعث معه بتمرات ، فقال : " أمعه شيء ؟ " ، قال : نعم تمرات ، فأخذها النبي – صلى الله عليه وسلم – فمضغها ، ثم أخذها من فيه فجعلها في فِي الصبي ، ثم حنَّكَه **وسماه عبد الله** "(١) .

قال ابن عثيمين : " يستحب التسمية بعبد الله ، فإن التسمية بهذا وبعبد الرحمن أفضل ما يكون ، قال النبي – صلي الله عليه وسلم – : " إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن " ، وأما ما يروى أن " خير الأسماء ما حمد وعبد " فلا أصل له ، وليس حديثا عن رسول الله – صلى الله عليه سلم – ، الحديث الصحيح : " أحب الأسماء إلى الله عبد

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري (١٣٠١) كتاب العقيقة ، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه ، ومسلم (٢١٤٤) كتاب الآداب ، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته .

الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام " . وحارث وهمام أصدق الأسماء لأنها مطابقة للواقع ، فكل واحد من بني آدم فهو حارث يعمل ، وكل واحد من بني آدم فهو همام يهم وينوي ويقصد وله إرادة ، قال الله تعالى : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ " (سورة الانشقاق : آية ٦) ، وكل إنسان يعمل ، فأصدق الأسماء حارث وهمام لأنه مطابق للواقع ، وأحبها إلى الله عبد الله ، وعبد الرحمن .

ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار لأبنائه وبناته أحسن الأسماء ؛ لينل بذلك الأجر وليكون محسنا إلى أبنائه وبناته .

...أما أن تأتي بأسماء غريبة على المجتمع ، فإن هذا قد يوجب مضايقات نفسية للأبناء والبنات في المستقبل ، ويكون كل هَمٍّ ينال الولد أو الابن أو البنت من هذا الاسم فعليك إثمه ووباله ؛ لأنك أنت المتسبب لمضايقته بهذا الاسم الغريب الذي يشار إليه ، ويقال انظر إلى هذا الاسم ، انظر إلى هذا الاسم !! .ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار أحسن الأسماء "[(١)] .

فقد اهتم النبي بمستقبل المسلمين حتى أنه تناول أسماءهم ، فكم من ولد أو بنت سمَّاها أبويها بأسماء تدعو للسخرية منهم ، وقد يسبب هذا الأمر حرج للأبناء حتى إنه قد يؤدي إلى فشلهم في دراستهم بسبب ما يعانوه من أسمائهم ، لذا فقد حثنا النبي على تسمية أبنائنا بأسماء مستحبة ، وبين لنا أحب الأسماء إلى الله ، كما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – من عادته تغيير الأسماء القبيحة أو الغريبة أو التي فيها شرك ، فقد كان النبي يتفاءل بالاسم الحسن فكان إذا بعث عاملًا سأله عن اسمه فإذا أعجبه اسمه فرح به، ورؤي بشر ذلك في وجهه والعكس[(٢)] ، وثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : "لئن عشت إن شاء الله لأنهين أن يُسمى : رباح ونُجيح وأفلح ونافع ويسار "[(٣)] .

تحذير النبي من أشياء تحدث بيننا الآن :

(١) شرح رياض الصالحين : ابن عثيمين ، ١ / ١٣٤ ، ط: دار العقيدة للتراث / الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
(٢) انظر السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني حديث رقم : ٧٢٦ .
(٣) المصدر السابق حديث رقم : ٢١٤٣

هذا الذي حذرنا منه نبينا – صلى الله عليه وسلم – وتنبأ بوقوعه هو ظهور الكاسيات العاريات المائلات المميلات ، يقول صلى الله عليه وسلم :

" صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا "(١) .

والنبي – صلى الله عليه وسلم – لم ير هذه الصنوف من القوم في حياته ، بل يقول إنهم سيأتون بعد ذلك ، فهذا الحديث من دلائل نبوته ومن الأحاديث التي تناولت المستقبل ، فهؤلاء القوم الذين يحملون السياط ويضربون الناس هم الحراس ورجال الشرطة المنتشرون في شتى أرجاء الأرض الآن ، ويضربون الناس بحق وبغير حق ، وقد صنفهم النبي من أهل النار وذلك لما يفعلونه من نشر الحقد والبغضاء من الناس لحكومتهم ووطنهم ، فكم من أناس كرهوا أوطانهم جراء تلك الأفعال الغاشمة التي يقوم بها أولئك النفر من القوم ، وهذا بالطبع شيء ضد مستقبل الأمة الإسلامية ، فالمواطن عندما يكره وطنه فهذه نكسة تؤدي حتمًا إلى الهلاك ، فمن أين نأتي بمن يدافع عن أرض الإسلام إن كرهها من يقطنوها .

والنساء الكاسيات العاريات واللائي انتشرن في أيامنا ، ففي كل مكان تسير فيه في كل أرجاء البلاد الإسلامية ترى من تكشف شعرها ومن تعرض شيئًا من جسدها ، ومن ترتدي ملابس شفافة تكشف عورتها ، أو ملابس ضيقة تجسم جسمها ، حتى تكاد تحتار أهذه المرأة مسلمة تتبع تعاليم الدين الإسلامي أم أنها من أهل الكتاب ، هذه إن فسرنا معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – على هذا النحو ، أما إن فسرنا قوله على أولئك الذين كساهم الله من نعمه وهم عاروون من شكره فإنا كذلك سنجد ذلك يحدث بين أظهرنا الآن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : ٦ / ١٦٨ ، حديث رقم ٥٧٠٤ .

فالشاكرون نعمة الله في هذا الزمان قليل ، أو تجد كاسيات تتبع السنة والملابس الشرعية الفضفاضة الغير واصفة لجسدها لكنها خالية من فعل الخيرات ، وهذا حاصل بيننا كذلك .

كما انتشر الآن المائلات وهن الزائغات عن طاعة الله وشكره واتباع سنة نبيه والمميلات أراهم موجودات الآن في دور الدعارة والكباريهات والمراقص الليلية ، وهن النساء التي تفعل فعل السحرة في أذن النساء الأخريات ، فهن يميلهن إلى فعل الرذيلة وعدم طاعة الله ، فهن كالشياطين في الأرض ، فإن كان هناك شيطان الجن فمثل هؤلاء النساء المميلات كشيطان الإنس

النبي يقف بنا على ما يحدث اليوم من حرب ضد الإسلام والمسلمين :

" يوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ، قَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمِنْ قِلَّةٍ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : لا بَلْ أَنْتُمْ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ، قَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ "(٢) .

فالمسلمون الآن أكثر من ثلث سكان العالم حيث بلغ عددهم فوق المليار إلا أنهم كغثاء السيل والغثاء هو كل ما يطفو على سطح الماء ويكون دائمًا عديم الفائدة ، على خلاف عهدنا السابق فقد كنا قليلا لكن كنا أكبر بإيماننا وحبنا لديننا وإخواننا ، واليوم وضعنا الحدود السياسية ، وصار لكل بلد مسلمة حاكم يصيرها كيف يشاء ، ونسينا أن من لم يهمه أمر المسلمين فليس منهم ، فكل بلد إسلامي لا يعبأ إلا بمصالحه الشخصية متناس تمامًا كل مسلم خارج حدود بلده ، وكنا في سابق عهدنا يهابنا الأعداء وإن كنا قليلي العدد، واليوم بالرغم من كثرتنا إلا أننا لا يهابنا أحد بل نحن من نهاب الغير ، وإن كان هذا الغير

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) ، أخرجه أحمد (٥ / ٢٧٨) ، و ابن عساكر في " تاريخ دمشق " (٨ / ٩٧ / ٢) بسند حسن من طرق عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر حدثني أبو عبد السلام عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ، و أبو نعيم في " الحلية " (١ / ١٨٢) عن المبارك بن فضالة حدثنا مرزوق أبو عبد الله الحمصي أنبأنا أبو أسماء الرحبي بسند جيد . وغيرهم .

لا يبلغ عدده نصف عدد سكان بلد واحد من البلاد الإسلامية ، فقد نزع الله مهابتنا من قلوب أعدائنا ، وقذف في قلوبنا نحن مهابتهم .

ومعنى تداعى بحذف إحدى التاءين فأصلها تتداعى ، أي يدعون بعضهم بعضا لحربنا وإخراجنا من أرضنا ، وهذا حدث في أفغانستان والعراق وغيرهما ، وسيحدث مع بلاد أخرى ، وقد شبه نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم – هذا الأمر بقوله : " كما تداعى الأكلة على قصعتها " فالأكلة جمع آكل ، والآكل في القصعة لا يجد أي مرارة في الاستمتاع بالأكل منها ، وهكذا نحن فبلادنا الإسلامية تقع واحدة تلو الأخرى ولا دافع للمغتصبين ، ولا رادع لهم ، فأين أنت يا عمر ، عُد إلينا يا خالد ، فإسلامنا ممزق الأرجاء شارد ، وأقول لكل مسلم : أين العزة والإباء ، أين الكرامة والحياء ، أين نحن من فعل هؤلاء السفهاء؟!!!!!!!!!!

صدقت يا سيدي يا رسول الله فنحن الآن قد أصابنا الوهن كل الوهن ، فصرنا نحب الدنيا وصارت أكبر همنا وغمنا ، ولازمها بالطبع كراهية الموت ، فحب الدنيا وكراهية الموت متلازمان لا يفترقان أبدًا ، فمن أحب الدنيا وزينتها ، كره الموت ولقاء الله ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، ونعوذ بالله أن نكون ممن يكره لقاء الله .

*** تحذير النبي من الزمان الذي ستظهر فيه الفتن وما يجب أن نفعله كي ننجو بأنفسنا :**

أخبرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم - بما يحدث لنا الآن حيث قال إنه سيأتي زمان يذهب فيه خيار الناس ويبقى شرارهم ، وأن هؤلاء الشرار يكونون مشتبكين متعاونين ، حتى كأنهم رجل واحد ، يجتمعون على الشر ويشجعون بعضهم بعضا عليه ، وأمرنا في تلك الحالة أن نترك ما نُنكر ونعمل بما نعرف ، وعلينا أن نترك أمر العامة ونهتم بأمر الخاصة يعني أهلنا وذوينا ، **فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، قال : " كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي يغربل الناس فيه غربلة وتبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم اختلفوا فكانوا هكذا – وشبك بين أصابعه –**

قالوا: كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك ؟ ، قال : تأخذون بما تعرفون . وتدعون ما تنكرون . وتقبلون على خاصتكم . وتذرون أمر عوامكم "(1)

ومعنى قوله – صلى الله عليه وسلم – يغربل الناس أي يغربلون كما يغربل الناس الدقيق فتبقى الحثالة وهي الرديء من الشيء ويصيروا متفرقين بعد أن كانوا كالرجل الواحد يشد بعضه بعضا وهذا ظاهر الآن حيث نجد السفلة والحثالة مجتمعين على الشر ويريدون أن يغتصبوا حقوق الناس ويشاركونهم في أرزاقهم وبترولهم ، ويجتمعون عليهم ويغتصبون أرضهم ، وهذه بشرى من رسول الله لنا حيث سيأتي اليوم الذي سيفترق فيه هؤلاء القوم وينقضوا عهودهم ، ويتشتت أمرهم ، فاللهم عجل لنا هذا وأرنا إياه فأنت السميع مجيب الدعاء .

ولم يتركنا رسول الله هكذا دون أن يخبرنا بكيفية العيش في هذا الزمان ، حيث أمرنا أن نأخذ بما نعرف وندع ما ننكر ونهتم بخاصتنا ونترك عوامنا .

* وقد تناولت السنة المطهرة موضوع ظهور الفتن ، وأن هذا الزمان سيكون القابض فيه على دينه المتمسك به ، القائم على أمره ، سيكون كمن يقبض على الجمر يقول – صلى الله عليه وسلم – :

" يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر "(1) .

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – ، قال : قال لي : إني أراك تحب الغنم وتتخذها فأصلحها وأصلح رعامها(2) ، فإني سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول

(1) سنن ابن ماجه : ٢ / ١٣٠٧ ، برقم ٣٩٥٧ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : دار الفكر / بيروت ، في جزأين
(1) رواه الترمذي (٢ / ٤٢) و ابن بطة في " الإبانة " (١ / ١٧٣ / ٢) عن عمر بن شاكر عن أنس مرفوعا .
و قال الترمذي : " حديث غريب من هذا الوجه ، وانظر ابن حبان : ١٨٥٠
(2) رويت " رعامها " وفي نسخ أخرى وعند ابن حجر " رغامها " والرعام هو ما يسيل من أنف الغنم من مخاط ، أما الرغام فهو الشراب .

(يأتي على الناس زمان تكون الغنم فيه خير مال المسلم يتبع بها شعف الجبال أو سعف الجبال[1] في مواقع القطر يفر بدينه من الفتن "[2] .

فقد أمرنا النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث بالفرار من أرض الفتن حتى لا نضل أو نضل ، بل وعلّمنا كيف نهرب ، فحثنا على تربية الغنم فستكون الغنم خير مال للمسلم ، فالمعروف أن تربية الغنم تستلزم الخروج إلى الصحراء أو رؤوس الجبال حتى نرعى فيها الغنم ، ففي الصحراء نجد العشب ، كما يمكن أن نرعى الجبال في المناطق الزراعية الغير آهلة بالسكان والتي ينبت فيها العشب الأخضر الذي يأكله الغنم ، وفي كلتا الحالتين فسيبتعد الإنسان عن الناس وبالتالي سيبعد نفسه عن الفتن .

وقد نبهنا النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه في هذا الزمان – زمان الفتن – إلى أهمية الدعاء ، وحثنا على أن ندعو بإخلاص ، فعن حذيفة رضي الله عنه رفعه قال : يأتي عليكم زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغريق "[3] .

فليس هناك دعاء أخلص من دعاء الغريق ، فهذا الغريق ليس امامه طريق للنجاة سوى الدعاء، وكأن النبي يقول أنه لا سبيل إلى الخلاص والنجاة من تلك الفتن إلا بالإخلاص الشديد في الدعاء.

مستقبل الفتوحات الإسلامية كما أخبرنا بها النبي – صلى الله عليه وسلم –

أخبرنا النبي عن البلاد التي سيفتحها المسلمون ، فعن أبي قبيل قال : " كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاصي و سئل أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق ، قال : فأخرج منه كتابا ، قال : فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نكتب ، إذ سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

(١) السعف يعني غصن النخل أي رأسه ، إذن فالمقصود بسعف الجبال أي رؤوس الجبال .
(٢) صحيح البخاري : ٥ / ٢٣٨٢ ، حديث رقم : ٣٤٠٥ ، ط : دار ابن كثير بيروت ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، في ستة أجزاء
(٣) المستدرك على الصحيحين : ١ / ٦٨٧ ، ٤ / ٤٧١ .

أي المدينتين تفتح أولا أقسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مدينة هرقل تفتح أولا . يعني قسطنطينية "(١) .

وقد تحقق وعد النبي – صلى الله عليه وسلم – للمسلمين حيث فُتحت القسطنطينيه على يد القائد العثماني محمد الفاتح وكان ذلك بعد النبي بما يقرم من ثمانمائة سنة ، وبإذن الله سيتحقق الفتح الثاني وسيغزو المسلمون روما وسيعود مجد الإسلام مرة أخرى ، فاللهم بلغنا هذا الفتح المنتظر.

النبي ومسألة تحري الحلال والبعد عن الحرام في كي شيء :

أما عن مسألة انتشار السرقة والنهب في مجتمعنا الإسلامي ، وانتشار سرقة الأموال العامة والهرب بها خارج حدود الوطن ، وانتشار مسألة الرشوة في كل المصالح الحكومية من أكبر المصالح إلى أقلها ، وقد يوقف هذا المسؤول أو الموظف مصالح الناس لو لم يدفعوا الرشوة هذا الأمر قد حدثنا به النبي – صلى الله عليه وسلم – فعن **أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام " .**

وهذا واقع فعلا في مجتمعنا اليوم ، فكم من مسلم يأخذ الأموال ولا يتحرى مصدرها ، ولا يعبأ بمصدرها أمن حلال أم من حرام ، فانتشر الربا والتعامل به ، وانتشر من يتاجر بالخمور والمسكرات ، ومنهم من سماها بغير أسمائها كي يحلل لنفسه الاتجار بها ومن الناس من يأخذ الرشوة ويحللها لنفسه قائلا إن مرتبي الذي أتقاضاه لا يجعلني أستطيع أن آكل العيش فقط ، فيحلل لنفسه بهذا أخذ الرشوة ، ومنهم من يحللها بطريق آخر فيقول أنا أيسر على الناس بعض الأمور ومن حقي أن أتقاضى عليها أجرا ، بل فمنهم من يعكس المسألة ويقول إنه لابد أن يُثاب على ذلك لا أن يُعاقب ، وما تناساه هذا القائل

(١) رواه أحمد(٢ / ١٧٦)والدارمي (١ / ١٢٦) و ابن أبي شيبة في " المصنف " (٤٧ / ١٥٣ / ٢) و أبو عمرو الداني في " السنن الواردة في الفتن " (١١٦ / ٢) و الحاكم (٣ / ٤٢٢ و ٤ / ٥٠٨) و عبد الغني المقدسي في " كتاب العلم " (٢ / ٣٠ / ١) ، و قال : " حديث حسن الإسناد " .و صححه الحاكم و وافقه الذهبي

أنه ساعد رجلًا أن يأخذ حق رجل آخر، بل قد يساعده على أن يرتكب الجرم ولا يعاقب عليه، وهذا حاصل بيننا اليوم ولم يكن موجودًا على عهد النبي ولا صحابته .

كثرة القتل واختفاء العلم :

عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِى مُوسَى فَقَالاَ قَالَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – " إِنَّ بَيْنَ يَدَىِ السَّاعَةِ لأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ ، وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ "(١) .

وفي هذا الحديث تبشير بمستقبلنا الذي نعيش فيه الآن ، فقد انتشر الجهل فعلا فأين نحن من زمان العلم ، فقد كان المسلمون منارة العلم لكل العالم ، فقد كان الأوروبيون يستقون علومهم منا ، فكان فينا ابن الهيثم وابن النفيس وابن رشد وابن سينا وغيرهم ، وقد كان الأوروبيون يعيشون في عصور الظلام ونحن في عصور النهضة والعلم والنور، لكن انعكست الآية تماما منذ العثمانيين وسيطرتهم على الحكم الإسلامي ، فانتشر الجهل والفساد ، حتى انتشر فينا من لا يعرف القراءة والكتابة ، واستمر الانحدار حتى عصرنا هذا فانتشرت الأمية بيننا ، وصرنا لا نملك شيئًا فاستعنا بعلمائهم كي يستخرجوا لنا بترولنا ويصنعوا لنا الأجهزة الحديثة في شتى المجالات بل استعنا بهم ليبنوا لنا بيوتنا ، فصرنا لا نكملك إلا المال الآن ، وهذا أيضًا بشرنا به النبي – صلى الله عليه وسلم – ففي رواية أخرى يقول : " **وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ** " وهذا حاصل بالفعل فقد كثر فينا المال وإن كانت تملكه طائفة معينة من الناس وهم الحكام والأمراء لكنه فعلا كثير في بلادنا الإسلامية فبعد ظهور البترول والذهب في بلادنا كثر المال وقل العلم والعلماء ، وعلى مجال الدين بشتى فروعه واتجاهاته وعلومه كعلوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة فقدنا العلماء ، بل وفقدنا من يريد أن يتعلم فقد شغلتنا حياتنا الدنيا وشغلنا كسب العيش والمال .

(١) متفق عليه ، رواه البخاري في صحيحه:حديث رقم : ٦٥٣٨ ، ورواه مسلم في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه ، حديث رقم ٢٦٧٢ .

أما عن كثرة الهرج أي القتل ، فقد انتشر أيضا فينا بل وفي العالم وليس المسلمون فقط ، فقد انتشرت الحروب العالمية فقامت حربين عالميتين وهما الحرب العالمية الأولى والثانية ، وانتشرت الهجمات الشرسة ضد الإسلام والمسلمين ، بل وانتشرت الحروب الطائفية ، وكذلك الحروب العنصرية والحرب من أجل الوصول للحكم ، كما ساعدت الحياة الحديثة على انتشار القتل والموت ، فوسائل المواصلات والصناعات الحديثة أدت إلى انتشار القتل ، فقد ساعدت الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل على انتشار وكثرة القتلى ، فمن منا ينسى هيروشيما ونجازاكي ومن منا ينسى ما حدث في العراق ويحدث الآن في فلسطين ، وكذا انتشار الزلازل والبراكين ، والتي أيضًا بشرنا بها النبي – صلى الله عليه وسلم – .

وأخرج مسلم والترمذي عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – واللفظ للترمذي ، أنه قال :

" أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يحدثكم أحد بعدي أنه سمعه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ، ويظهرْ الجهل ، ويفشو الزنا ، وتُشرب الخمر ، ويكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد " .

زاد الترمذي ومسلم هنا عدة مبشرات أخرى ، فظهور الزنا كذلك من صور المستقبل التي وضحها لنا النبي – صلى الله عليه وسلم – ففي أيامنا انتشرت الفاحشة ، وصار لها أماكن تكاد تكون معروفة لكل من يهوى الفاحشة بل وزاد الأمر فوجدنا انتشار الزنا على الفضائيات، وحتى انتشر في شبكة الانترنت ، فوجدنا مواقع تنتشر فيها الرذيلة، بل وانتشر الزنا حتى بين المحارم وتطالعنا صحفنا بهذه الحوادث المؤسفة ، وكذا انتشر الخمر وظهرت له مسميات كثيرة ، وتفنن الناس في صنعه ، فكثر صانعوه كما كثر شاربوه ، وعلامة أخرى من علامات المستقبل ، وهي كثرة عدد النساء ، وهذه حقيقة اليوم ، فقد أثبتت الإحصاءات الأخيرة صدق قول النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وإن لم تصل إلى هذا

العدد بحيث يكون لكل خمسين امرأة رجل واحد يكفلها ويكون قيمًا عليها ، إلا أنه لو استمرت زيادة النساء عن الرجال بهذا الشكل ستصل إلى تلك النسبة التي أخبرنا بها النبي، وبالطبع ستصل فنبينا لا ينطق عن الهوى .

استحلال الزنا والخمر والحرير وكثرة المسخ :

" لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ ، وَالْحَرِيرَ ، وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُون ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا . فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "(١) .

يستحلون لها معنيين : الأول أن يكون الإنسان عالم بالحرام ويعمله ، ويصر على الغرق فيه واستباحته وهذا هو الظالم لنفسه ، **والثاني** أن يكون يقول الإنسان على شيء حلال وهو حرام وهذا هو الإنسان الجاهل ، وكلاهما أشارت إليهم كلمة يستحلون .

أما كلمة الحر فهي الفرج ، فهم يشيرون إلى الفرج بالحر ، فالمعنى يستحلون الزنا وهناك من يستحل لبس الحرير مع أن الثابت في السنة أن لبس الحرير للرجال حرام ، وقلنا قبل ذلك أن انتشار شرب الخمر هذا قد أخبرنا به النبي منذ آلاف السنين ، وقلنا إن هناك من يغير اسمها ويطلقون عليها أسماء أخرى ليستحلوا شربها .

أما عن مسألة استحلال الناس للغناء والمعازف ، فهذا مبدأه ليس منذ عهود قريبة بل ظهر وانتشر كذلك في الخلافة الأموية والعباسية ، لكن أمر الغناء والمعازف استفحل في أيامنا ، فنحن نجد من المشايخ والعلماء من يحلل سماع الغناء ، بل صار سماع الغناء أمرا عاديا بيننا ، فلا حرج في أن يقول الرجل أو تقول المرأة أنها تحب وتسمع المطرب الفلاني .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : ٥ / ٢١٢٣ ، حديث رقم : ٥٢٦٨ ، دار ابن كثير .

بل قد ارتفع قدر المطربين والعازفين حتى فاق قدرهم قدر العلماء ، فإنك لو سألت شخصا أتعرف المطرب الفلاني يقول بصوت عال ونبرة جريئة نعم أعرفه ، وإن سألت نفس الشخص عن ابن تيمية مثلا أو ابن الجوزي أو غيرهما من العلماء ، سيرد عليك بصوت خافت لا والله ، فيالحسرتي وأنا أكتب تلك الكلمات ، يكاد قلبي يتقطع وهي تخرج من بين ضلوعي ، لكن هذه حال المسلمين الآن ، هداني وهداهم الله ووفقنا إلى ما يحب ويرضى .

أما قوله – صلى الله عليه وسلم – " جنب علم " أي لينزلن أقوام إلى جنب جبل أو رأس جبل ، والسارحة هي الغنم وذلك لأنها تسرح فسميت السارحة ، والمقصد العام من تلك العبارة أن الفقير يمر على قوم فيقولون فيسألهم من فضل الله الذي بين أيديهم ، فيقولون له مر علينا غدا ، فينامون فيخسف الله بهم الجبل ، فحالهم كحال أصحاب الجنة الذين أقسموا أن يحصدو زرعهم ولا يعطون الفقراء نصيبهم من هذا الزرع ، فلما أصبحوا وجحدوها مدمرة عن آخرها فندموا على ما نووا أن يفعلوه .

وفي هذا الحديث يحذرنا النبي – صلى الله عليه وسلم – من انتشار المسخ ، والمسخ يعني تغيير الخلقة ، وهناك من فسرها بتغيير الخلق ، لكني أميل إلى من فسرها بتغيير الخلقة ، فقوله " قردة وخنازير " يوضح هذا المعنى ، وقد انتشر في مواقع الشبكة العنكبوتية أفلام صوروا فيها بعض هذه المسوخ ، وقد نشرت الصحف صورًا لفتاة قد تحولت إلى قردة ، والله أعلم بصحتها ، لكن من المؤكد أن مسألة التحول والمسخ هذه ستظهر فقد أخبرنا بذلك نبينا – صلى الله عليه وسلم – ، وهو الصادق الأمين .